وسائل الإعلام

لا يقدم داعش إعلامه بشكل عشوائي، أو أهوج، كما يتصور البعض، إنما يعتني به إلى أقصى حد، مستعملا أحدث الأساليب وأقواها، سواء على مستوى الشكل أو مضمون الرسالة الإعلامية لتنظيم أيديولوجي عسكري يؤمن بحتمية الانتصار النهائي، ويستحل كل الوسائل، مشروعة وغير مشروعة، في سبيل بلوغ هذه الغاية.

ويطلق داعش سبع أذرع إعلامية أساسية بلغات مختلفة بحيث تصل إلى كل مكان في العالم هي: أجناد، والفرقان، والإعتصام، والحياة، ومكاتب الولايات، وإذاعة البيان، ومجلة وموقع دابق، التي تصدر كـ«مجلة» كل أسبوع، وكموقع الكتروني يومي في آن، بثلاث لغات هي العربية والإنجليزية والفرنسية. وقد تناول العدد الأول منها قضية «بناء الدولة الإسلامية من الداخل»، وراحت أعداد تالية تتطرق لمسائل من قبيل الحرب العالمية المنتظرة، والمؤامرة التي تحاك ضد «الدولة الإسلامية» والانهيار الحتمي للإمبراطورية الأمريكية، وتنشر مقالات رأي لعرب وأجانب منتمين للتنظيم، إلى

جانب تحليلات اقتصادية يقدمها خبراء في هذا الشأن.

وقد استورد داعش من أجل قنواته المتلفزة أحدث الأجهزة والكاميرات، وسيارات مجهزة للتصوير الخارجي، بما مكن التنظيم من التصوير في المناطق الجبلية بتقنية متقدمة للغاية، تكاد تصل جودتها إلى مستوى الأفلام الأمريكية. ويشارك في الإعداد والتنفيذ خبراء أوربيون لديهم خبرة في مخاطبة العقل الغربي. أما مكاتب الولايات فقد رصد لها التنظيم نحو ٢٠٠ مليون دولار، وهى عبارة عن قنوات موجهة للمناطق التى سيطر عليها التنظيم داخل العراق وسوريا، ويطلق عليها «ولايات إسلامية».

وإلى جانب الأفلام ينتج داعش الأناشيد الدينية والجهادية، وتبثها إذاعاته إلى جانب القرآن الكريم، وبعض الأخبار التى تستهدف إثارة حماس المقاتلين، وتغطي ما يجري في ميادين القتال، وبعض أوامر القيادة وتعليماتها.

ولا يكتفي داعش بهذا الإعلام التقليدي، بل ينشط بشكل رهيب على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) وخصوصا مواقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» «تويتر» و«يوتيوب» ومواقع أخرى أقل انتشارا مثل كويتر، ودياسبورا، وجاست بيست دوت أي تي، الذي يعرض أفلاما ومعلومات.

وهناك ميلشيا إلكترونية تضم جيشا جرارا من المدونين الذين يعملون لصالح داعش، يديرون عددا هائلا من

الصفحات بلغات مختلفة على هذا المواقع، حيث يصل عددها على «فيس بوك» إلى ٩٠ ألف صفحة، يشرف عليها مناصرون للتنظيم من مختلف الدول، ومتطوعون تم تجنيدهم من أعضاء التنظيم المركزى فى سوريا والعراق. أما على «تويتر» فيوجد حوالي ١٢٠٠٠ ألف حساب.

وهناك دراسات تبين أن كل شخص من هؤلاء المتطوعين يجلس أمام جهاز الكمبيوتر حوالى ١٢ ساعة يوميا، تكون مهمته خلالها نشر البيانات التى يصدرها قادة التنظيم، بالإضافة إلى متابعة كل ما يكتب عن التنظيم فى مختلف المواقع والصحف حول العالم، والرد على أى حملات هجومية تنال من التنظيم وتقدح فيه، إضافة إلى تحليل ردود الأفعال المصاحبة لنشر فيديوهات التنظيم التي تحمل قدرا هائلا من البشاعة.

ويستغل الدواعش أكثر «الهاشتاجات» رواجا على «تويتر»، ويرسلون عبره رسائلهم، حتى لو كان الموضوع بعيدا تماما عن السياسة والحرب والدين. وإلى جانب هؤلاء هناك المتعاطفون مع داعش، والذين يدافعون عنه بطريقة «لامركزية»، وقد أفسح لهم التنظيم مجالا من خلال فتح باب وسيع أمام ما يصدر عنه وما يرسل إليه من رسائل، تبث بلا هوادة في الفضاء الإلكتروني.

وتعاد تغريدات شبكة مستخدمي داعش آليا عبر خدع ماكرة في إرسال الإيميلات إلى البريد الإلكتروني المهمل أو غير المرغوب فيه (**junk mail**) عن طريق تطبيق نظام يدعى «الفجر»، وهو من برمجة مهندسي معلوماتية تابعين للتنظيم، بمجرد تثبيت تطبيق ما منها على جهازك، مثل الداوونلود مانجر أو التورنت، يسيطر تطبيق «الفجر» الجهادي كما يراه منتسبو التنظيم على حسابك وينشر عدداً كبيراً من التغريدات والصور والهاشتاجات. ونجحت هذه العملية في أمريكا أكثر من مرة نظراً لشعبية تويتر التي تفوق فيسبوك هناك، حتى أن آخر فيروس من صنع داعش قام بإطلاق تغريدات، وصل عددها إلى أربعين ألف تغريدة في يوم واحد وهو رقم قياسي لم يسجل من قبل، وذلك وفق تقرير لجريدة «العربي الجديد».

في المقابل نجد أن هناك جيشاً إلكترونيّاً كبيرا مدربا على أفضل مستوى يحمي حسابات التنظيم على مواقع التواصل الاجتماعي من الإغلاق والاختراق ودس مواد مخالفة، ويدير حساباتهم البنكية، ويجمع التبرعات المالية عبر الإنترنت، ويلاحق الناشطين، ويعلن في أبعد نقطة من العالم انتصار التنظيم في معاركه المسلحة دون أن يكون ذلك قد تحقق على الأرض بالفعل، بعد أن أدرك داعش، جريا على ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية أحيانا، أن بوسعه أن يقول للعالم عبر إعلامه أنه قد انتصر ويصدقه. وبذا يخوص التنظيم

حروبا شرسة على الإنترنت، سواء ببث أكاذيب حول النصر، أو بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، أو صد محاولات الهاكرز العالمي، التي تسعى للحد من نشاطات التنظيم الإعلامية.

ويعرف داعش كيف يوجه رسائله على الوجه الأكثر فاعلية، فيستعمل «تويتر»بغزارة لأهل الخليج العربي، لأنه وسيلة التواصل الإلكتروني الأكثر استخداما بينهم، أما أهل العراق وسوريا فلهم «فيس بوك». وحسب صحيفة الجارديان البريطانية، فإن متابعي تغريدات داعش على تويتر في بلجيكا وبريطانيا والولايات المتحدة أكبر من متابعيه في سورية والعراق، حيث نجد أن ٢٤ في المئة من المنشورات التي ينتجها التنظيم لقيت تجاوباً في بريطانيا، و٢١ في المئة منها لقيت تجاوباً من الجمهور المستهدف في أمريكا، و٣١ في المئة في بلجيكا.

وبذا فإن إعلام داعش يخاطب صنفين من الجمهور، محلي في المناطق التي يسيطر عليها، ويكون هذا، فضلا عن القنوات المتلفزة والإذاعات، ومواقع التواصل الاجتماعي، عبر المساجد، أو من خلال التجوال في الشارع. والثاني الجمهور الخارجي، وهو كل من يسكنون خارج الأرض التي يسيطر عليها التنظيم. ويقصد داعش فئات الشباب المتراوحة أعمارهم بين ١٨ و٣٠ برسائله الإعلامية أكثر من غيرهم، طامحا إلى تجنيد بعضهم للانضمام إلى صفوف التنظيم، إلى جانب النساء، الذين يعول عليهم في أمور كثيرة.

وهناك إطار يحكم عمل الإعلام الداعشي يتمثل في الغاية الكبرى للتنظيم وهي «إقامة الخلافة»، وهو يسعى لهذا بإطلاق الرعب الرهيب لهز معنويات أعدائه، موظفا الصورة الوحشية، والكلمة الحادة، قبل السلاح، الأمر الذي انعكس على معظم إصداراته المصورة، إلى جانب البيانات والتصريحات التي تصدر عنه. ولإتمام هذه الوسيلة على أفضل وجه ممكن يستعين التنظيم بخبراء وفنيين في مجال الإعلام بمختلف أشكاله ومجالاته.

وهناك سمات عامة تحكم الإعلام الداعشي، منها الميل إلى استعراض القوة، بل والمبالغة فيها، وإضفاء طابع مهيب مخيف على القادة والمقاتلين، وتبرير إهدار دماء المخالفين، بل التغني به، واستعمال كل ما يمكن من استمالات الخوف والترهيب، والحط من شأن الإعلام الذي يخالف داعش أو ينتقدها، وتصويره على أنه إعلام عميل خائن، ويتم هذا عبر استغلال سقطات في السير الذاتية، أو المسار المهني، لبعض القائمين على هذا الإعلام، للاستدلال منها على فساده وتبعيته.

ويقدم داعش نفسه للناس ليس بوصفه تنظيما أو ميليشيا أو جماعة إرهابية، إنما دولة لها علم ونشيد وجيش وزي وطني وهيئة واحدة لسكانها من الرجال والنساء، بل وهدف قومي، أو وظيفة استراتيجية.

ولهذا تقول دعايات داعش دوما إنها: «حرب ضد العالم الكافر، غرباً من أميركا، وشرقاً حتى اليابان، وما بينهما من طغاة، نحن قادمون، إنا نحب الموت، ربيعكم كذبة، الحقيقة الثابتة أن أبو بكر البغدادي خليفة، فلتقم القيامة أينما وجدتم يا أنصار الدولة، ستصلكم رسائلنا أينما كنتم، نملك ما لم يملكه غيرنا، لا قاعدة ولا يحزنون، الظواهري مهرطق، مكافأتك حين تنضم إلينا هي الشهادة». وتقول: «نحن على مقربة منكم لتحقيق وعد الله بفتح جميع الدول الكافرة»، وتقول أيضا: «نحن نريد من النائمين أن يصحو على أصواتنا ويفهموا أهدافنا الأخلاقية جيداً».

ويهدف إعلام داعش إلى استقطاب أو تجنيد شباب من كل أنحاء العالم الإسلامي، بل العالم بأسره، ويحاول أن يصور لهم، مخاطبا غرائزهم أو الجانب الوحشي أو النزوع إلى الفتوة الكامن في كل واحد منهم، أن القوة العنيفة هي وحدها السبيل إلى تحقيق النصر على الأعداء، وأن سالف الحديث عن «إسلام وسطي» أو «إسلام معتدل» هراء لا طائل منه. وفي ركاب هذا نرى صور إعدامات لأشخاص متهمين بارتكابهم جرائم مختلفة في الأرض التي يحكمها التنظيم.

كما يخاطب الطامعين والباحثين عن الدفء الاجتماعي والعون الاقتصادي فيحرص على تبيان بعض الجوانب الإيجابية في ممارسات التنظيم، ومنها توزيع الزكوات والصدقات على بعض الناس أو توزيع مواد الإغاثة أو تنظيم

المرور وغيرها، ويتم هذا كله وفق إطار أوسع يعني بالتعريف بداعش ونهجه، وتفنيد حجج القادحين فيه. ويمطر داعش المسلمين، على وجه التحديد، بتغريدات تبين غالباً حول قدرة التنظيم على حكم المناطق التي يسيطر عليها، عبر بث صور تبين الوفرة التي تتسم بها الأسواق، وإعلانات معدة بعناية عن الاستقرار وتوافر مقومات العيش، وتنظيم رحلات سياحية وتوزيع المساعدات المالية.

وتبث تلفزة داعش مشاهد من زيارات جنود من تنظيم الدولة لزملائهم الجرحى في المشفى، ولا ينسى المصور إظهار الراحة التي يتمتع بها جرحى التنظيم. وهناك شريط فيديو يصور مقاتلي داعش وهم يوزعون الحلوى والآيس كريم على أطفل يبتسمون لهم، وشرائط أخرى تظهر عناصر من التنظيم وهو يداعبون عددا من القطط.

وبينما يلح إعلام داعش على متابعيه، محاولا إقناعهم، عبر إمطار رؤوسهم بمعلومات متدفقة، والتركيز على مفاهيم بعينها عبر تكرارها وشرح جوانبها، فإنه يعزف على الوتر الطائفي، وهو في هذا يجني ثمار ما زرعه الذين ينفخون في نار الطائفية، ويصور نفسه على أنه مدافع عن الطائفة السنية، ليجذب إليه كل المحتقنين من الشيعة، وهو ما نجح فيه إلى حد كبير، في بعض الأحيان. كما يبث إعلام داعش الفرقة بين بعض الفصائل المسلحة التي تعود إلى

السلفيين والإخوان، كي يضعف من شوكتها، فلتجأ إليه، أو لا تنافسه في الساحة.

ويقدم داعش، عبر إعلامه، خدمة الفتوى وإبداء الرأي الديني، لاسيما في مجال الإجابة على الأسئلة التي تثار حول التنظيم، والتي يطرحها أعداؤه أو مخالفوه. ويستغل في هذا ضعف الإعلام الذي يواجهه وتشتته أو عدم وجود استراتيجية لديه لمواجهة داعش بشكل كاف وشاف.

obeikan.com